

مساهمة محمد إدريس الكاندهلوي في المديح النبوي (١٩٠٠-١٩٧٢م)

الدكتور بلال أحمد زرع الندوي*

الملخص:

المديح النبوي هو لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع لأنه لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص، وظهر المديح النبوي في شبه القارة الهندية مع دخول الإسلام و ساهم فيه علماء الهند وشعراءها في كل حقبة من تاريخهم، غير أن الهند ساهمت في هذا المجال باللغة الأوردية و الفارسية أكثر من العربية. و لم يكن أحد بالهند من قرض الشعر باللغة العربية الا و له آثار في المديح النبوي، أما هذه المقالة فإنها تتناول مساهمة محمد إدريس الكاندهلوي في المديح النبوي مع معالجة بعض آثاره القيمة في هذا المجال و يبدو من مدائحه أن فكرته تنطلق من رؤية إسلامية سالمة تطبها الروحانية و يتميز كلامه بصدق المشاعر و نبل الأحاسيس و رقة الوجدان و حب النبي صلى الله عليه وسلم طاعة و شفاعاة و وساطة.

المديح النبوي و محمد إدريس الكاندهلوي:

ولد الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي في بلدة كاندهلة بمديرية "مظفرنغر" سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز من عمره عشر سنوات، وحصل على الدراسة الابتدائية في الزاوية الأشرفية للشيخ أشرف علي التهانوي، ثم التحق بمظاهر العلوم في سهارنפור، وتخرج فيها مع التخصص في علم الحديث في ١٩١٧م، ثم جاء به تلهفه الشديد للعلم إلى دارالعلوم بديوبند حيث تخصص في علم الحديث للمرة الثانية في ١٩١٨م، وبعد الحصول على التعليم تولى وظيفة التدريس في المدرسة الأمينية الإسلامية بدلهي، ولم يمكث فيها إلا لبضعة أشهر فجاأ إلى ديوبند وعين في دارالعلوم مدرسا من ١٩١٩م إلى ١٩٢٧م، ثم ذهب إلى حيدر آباد حيث أقام فيها لمدة اثنتي عشرة سنة، ثم جاء إلى دارالعلوم مرة أخرى وقام بتدريس كتب التفسير والحديث لمدة طويلة حتى هاجر إلى باكستان حيث عين شيخ الجامعة في الجامعة العباسية بمدينة بهاولفور،

* المحاضر المتقاعد بقسم اللغة العربية بكلية كفوارة الحكومية.

وبعد سنتين عين شيخ الحديث في الجامعة الأشرفية في لاهور حيث اشتغل لمدة ٢٢ سنة، وتوفي في لاهور سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م!

كان الشيخ محمد إدريس عالما كبيرا وله مصنفات كثيرة في علم الحديث والعقائد، وكان العلامة السيد سليمان الندوي يعترف بمكانته العلمية العالية بقوله: "أود أن أسرق علم الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي"؛ وكما يعترف بها العالم الشهير المفتي محمد شفيع قائلا: "وكان للشيخ الكاندهلوي مكانة مرموقة بين العلماء والأولياء والأتقياء، وقد تكرم الله عليه بالمحاسن الظاهرية والباطنية، وكان فقيده المثل في الكمالات العلمية والعملية"^١.

كان الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي شاعرا مجيدا وكانت له قدرة ملحوظة على نظم الشعر بأسلوب سلس يخلو من الكلمات الغريبة والتراكيب الركيكة المعقدة، وقد نظم في موضوعات مختلفة وفي مناسبات متنوعة، وله قصيدة في الحمد والمناجاة بعنوان "رائية الحمد والثناء والمناجاة والدعاء" ومنها يقول:

لك الحمد والتقديس والمجد كله	تباركت يا رب السموات والثرى
لك الكبرياء والخلق والأمر كله	تعاليت ما أولاك بالحمد اجدرا
كل الفضل والنعماء والشكر كله	فنعماك جلّت أن تعد وتحصرا
تعاليت عن أوهامنا وعقولنا	فسبحانك اللهم أكبرا أكبرا
ومن ذ الذي يحصى ثناء ومدحة	وإن بالغ المثني وأكثر وأكثر
ولو أن ما في الكون من كل كائن	لسان يديم الحمد كان مقصرا
رضيت بك الإله ربا ومالكا	وبالمصطفى الهادي رسولا مبشرا
وأسألك اللهم تعجيل رحمة	فمن جوهر التعجيل عبدك خمرا

وفي نهاية القصيدة يصلي ويسلم على سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين قائلا:

وصل على خير البرايا شفيعا	صلاة تسامي أطيب المسك أدفرا
وسلم وبارك دائما ومسللا	مدى الدهر ما لبي ملب وكبرا
وأزواجه والأل أهل طهارة	وأصحابه الغر الأطائب عنصرنا

إن الأبيات المذكورة أعلاها تدل على قدرة الشاعر الفائقة في نظم الشعر حسب الموضوع والمضمون بفصاحة البيان وطلاقة اللسان.

١. راجع: تذكره مولانا محمد إدريس كاندهلوي: لمحمد ميان صديقي،
وأكابر علماء ديوبند: ص/ ٢١٥ - ٢٢٠.

٢. أكابر علماء ديوبند: ص/ ٢١٩.

٣. المرجع السابق: ص/ ٢١٩.

٤. سالنامه دارالعلوم، ص/ ٣٨، محرم و صفر / ١٣٦١هـ.

وأما ما يتعلق بالمديح النبوي الخالص فله فيه عدة قصائد وأطولها "ميمية المديح" و"لامية المعراج"، وكان الشيخ الكاندهلوي يحب قصيدته الأولى "ميمية المديح والثناء" للغاية، فكان يقرأ أبياته حيناً بعد أخرى، ومن أبيات هذه القصيدة!

إذا كان مدح أو ثناء منمنم فأكرم خلق الله أولى وأقدم
ولا بد من بحر طويل لمدحه لما أنه بحر المكارم فلزم
لكل امرئ في الحب دين ومذهب يدين بما يهوى وما هو يزعم
و ديني حب المصطفى منبع الهوى أجل الورى من في الجمال مسلم

وقصيدته التي سماها بـ"لامية المعراج" تحتوي على واقعة الإسراء والمعراج، وذكر الشاعر فيها الفضل الذي أنعمه الله تعالى على نبيه أثناء المعراج بالتفصيل، والقصيدة تشتمل على مائة وستة وعشرين بيتاً، يقول فيها!

ألا ليت شعري هل يقولن مقولي قصيدا بإسراء النبي المبجل
فسبحان من أسرى بليل بعبدته إلى المسجد الأقصى إلى عرشه
تمطى براقا خطوه مد طرفه العليّ كبرق وليس البرق منه بأعجل
فلاح كبدر في الكواكب كامل فيا لاحتفال الكواكب مخجل
وقال له الروح الأمين تقدمن وأمم جميع الرسل خير مرسل
دنا فتدلى قاب قوسين وأدنى وأكرم بإيحاء سبحان مفضل
رآه رآه دون شك وريية وما زاغت العينان عن نوره
رآه بعيني رأسه وفؤاده الحليّ رواه ابن عباس صحيح مسلسل
وليس محالاً أن يرى العبد ربه بغير محاذاة وابن وهيكلي
ومعراجه كان بالجسم يقظة كما هو منطوق بالكتاب المفضل
رأى الآية الكبرى وما شاء ربه رأى جنة المأوى ومالم يخيل

١. مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي: ص/ ١٠٧ - ١٠٨.

٢. المدائح النبوية في الهند: ص/ ٤١٨ - ٤١٩.

وفارقه روح الأمين بسدرة وقال له هذا نهاية منزلي
وودعه جبريل إذ جاء رفر ف تدلى له مثل المنصة من عل

وللشيخ محمد إدريس قصيدة أخرى نظم فيها أسماء النبي صلى
الله عليه وسلم، والقصيدة تحتوي على أربعين بيتاً، نقدم بعض الأبيات من
هذه القصيدة، يقول فيها!

هو الصالح الصادق	رواء الغليل شفاء السقيم
المؤتمن	
هو الأعلم الأكرم المرتجى	سفوح نصوح عفو كريم
هو العاقب الحاشر المستغاث	مجير الورى من عذاب الجحيم
هو الأحسن الأجود الأشجع	أغر الجبين جميل وسيم
ختام النبيين والمرسلين	مقف وماح قنوم مقيم
ختام السلام كمسك الختام	لختم الكرام نبي فخيم
وأصحابه الأصفياء الكرام	مدى الدهر ما دام يجري

هذه الأبيات المختارة من قصائد الشيخ الكاندهلوي في مديح الرسول صلى
الله عليه وسلم تعبر عن مشاعره الكامنة وأحاسيسه الصادقة الغريقة في
حب سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، كما تدل على تضلع
الشاعر وتمكنه من اللغة العربية وقدرته الملحوظة على قرص الشعر
ونظم القصائد بأسلوب عذب سلس وكلمات رائعة جذابة.

خاتمة

وختاماً نقول إن مدائح الشيخ الكاندهلوي النبوية تحتل مكانة مرموقة بين
القصائد العربية التي قبلت في شبه القارة الهندية بل هذه القصائد الغراء
جديرة بأن تعد من أروع القصائد وأبدعها في حسن السبك وجودة الألفاظ
ونظم الكلمات وروعة البيان وسمو الفكرة وصفاء الخيال وصدق اللهجة
وندره التشبيب وجمال القريحة والعذوبة والسلاسة. كذلك لا يوجد في
كلامه شئ يخل بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، ومدبحة النبوي بعقيدة عن
الإطراء والمغلاة اللذين ليس لهما أي أساس في الشريعة، وهذا التوفيق

١. مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي: ص/ ١٠٨ - ١٠٩.

من منة الله وكرمه عليه، وإلا: فلناس فيما يعشقون مذاهب.

المراجع والمصادر

١. سيد محمد ميان ديوبندي: علماء هند كا شاندار ماضى، جمعيه پريس، دهلي، طبع ثالث ١٩٦٣م.
٢. محمد ميان صديقي: تذكره مولانا محمد ادريس كاندهلوي، طبع فى لاهور ١٣٩٦ هـ.
٣. "القاسم" دارالعلوم ديوبند، يو پى، الهند، ربيع الأول ١٣٢٩ هـ ورجب ١٣٢٩ هـ.
٤. سالنامه "دارالعلوم" دارالعلوم ديوبند، محرم وصفر ١٣٦١ هـ.
٥. صدر الحسن الندوي، الدكتور: المدائح النبوية في الهند، معهد الدراسات الإسلامية، أورنج آباد، مهاراشترا، الهند، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
٦. زبير أحمد الفاروقي، الدكتور: مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى نهاية ١٩٨٠م، دار الفاروقي للطباعة والنشر، ذاكر باغ، نيو دهلي، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.